الإعجاز البلاغي للإشارات العلمية في سورة النساء

أ.م.د. أحمد عامر الدليمي م. ميثم محمد نوري
جامعة الموصل/ كلية التربية للبنات المعهد التقني/ الموصل

الملخص:

بحثنا الموسوم بـ(الإعجاز البلاغي للإشارات العلمية في سورة النساء) واحد من الأبحاث المهمة التي اعتمد منهجية التعشيق بين وجهي الاعجاز البلاغي والاعجاز العلمي كونهما يخدمان النص القرآني ويكشفان معاً عن المعاني العلمية الكامنة فيه؛ إذ أظهر البحث أهمية الفن البلاغي في التعبير عن القضية العلمية، وأهمية الفنون والأساليب البلاغية في الكشف عن خفايا الحقائق العلمية المُكتنهة في النص القرآني. إذ وقف البحث على عدد من الاشارات العلمية في سورة النساء منها يتعلق بخلق الانسان والتقنات الحديثة في علم الاحياء كالاستنساخ الحيوي والوراثة والجلد والبصمة، كما وقف البحث على إشارات هندسية منوّعة. ثم أوصى البحث بتنشيط منهجية البحث بين وجهي الإعجاز العلمي والاعجاز البلاغي، والكشف عن أسرار ورود الإشارات العلمية المختلفة في القرآن الكريم بأساليب فنية منوعة؛ فمرة تأتي استعارة، ومرة مجازاً، ومرة تشبيهاً، وأخرى كناية وهكذا، فما السر الكامن وراء ذلك التنوع في هذه الاشارات العلمية الممتزجة بتلك الفنون البلاغية المختلفة؟.. وهو السؤال الذي تسعى هذه الأبحاث للإجابة عليه.

الكلمات المفتاحية: إعجاز – بلاغة – إشارات علمية – سورة النساء

المقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

يعد الاعجاز القرآني أحد التخصصات القرآنية المهمة المتصفة بتشعب المآخذ وارتباطها بجوانب علمية عدّة بلاغية ولغوية وعلمية وفكرية وفقهية وغيرها. فبحثنا هذا الموسوم بـ (الإعجاز البلاغي للإشارات العلمية في سورة النساء) واحد من الأبحاث المهمة التي جمعت بين الاعجاز البلاغي والاعجاز العلمي واعتمد منهجية التعشيق بين وجهي الاعجاز في القرآن الكريم؛ كونهما يخدمان النص القرآني ويكشفان عن المعاني الكامنة فيه؛ فظهرت أهمية الفن البلاغي في التعبير عن القضية العلمية. وقد اعتمد البحث على جملة من التفاسير القديمة والحديثة التي جعلت من البلاغة وإعجاز القرآن محوراً لها كتفسير الكشاف وزاد المسير وتفسير التحرير والتنوير وروح المعاني وأولى ما قيل وغيرها.

وتضمن البحث تفسيراً بلاغياً لما يقرب من عشرين آية من سورة النساء كاشفاً عن المعاني العلمية فيها توزعت على المباحث والمطالب غطت موضوعات البحث كله؛ إذ تضمن البحث أربعة مباحث؛ تناول المبحث الأول قضية (خلق الانسان)، وأصل خلق الانسان من تراب، وموضوعات أخرى تنتمي إلى هذه المعاني كاعتبار القلب جزءً من منظومة التفكير لدى الانسان. أما المبحث الثاني فهو بعنوان: (الوراثة والاستنساخ) تضمن مطلبين عدّة أولها: الرضاعة المحرِّمة وتأثيراتها على الوراثة، وثانيها: الاستنساخ البشري والحيواني، وجاء المبحث الثالث بعنوان: (قضايا الجلد وبصمة الوجه)؛ الذي تضمن مطلبين أولها: الجلد والاحساس بالألم، وثانيها: وبصمة الوجه. أما المبحث الرابع فهو بعنوان: (موضوعات الفيزياء والهندسة) ، أولها: المقاييس الكبيرة، وثانيها: المقاييس الصغير ، وثالثها: خصائص الخط المستقيم ، ورابعها: الدرجات بين الترقّي والتدلّي مفهوم هندسي. ثم خُتم البحث بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول

خلق الانسان

تعددت الإشارات العلمية في خلق الانسان وأطواره في سور القرآن الكريم، وكان لسورة النساء نصيب منها؛ كما تعددت موضوعاتها فيها؛ وفي المباحث الآتية تفاصيل ذلك:

أولاً: أصل الإنسان وخلقه:

قوله تعالى في مطلع سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً(١)﴾. بعد أن ختمت سورة آل عمران بدعوة المؤمنين وحملهم على التقوى في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[آل عمران: ٢٠٠]؛ افتتحت سورة النساء بدعوة الناس عامة إلى تقوى الله تعالى فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ) حثّاً على الالتزام بما سيأتي من تشريع وأحكام، وهو نداء عام بـ(أداة النداء) الصالحة للقريب والبعيد لتتسع دائرة المنادى ويضم الخطاب الناس جميعاً، وهي دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد وفي هذه الصلة براع استهلال مناسبة لما اشتملت عليه السورة من الأغراض الأصلية فكانت بمنزلة الديباجة[١].

ويأتي الأمر بالتقوى حين يُقرن النداء بأمر يشحذ همّة المتلقين ويوقظهم لاستقبال أمر عظيم؛ فقال: (اتَّقُواْ رَبَّكُمُ)؛ وهل أعظم من التقوى أمراً يستحق التنبيه عليه؟؛ وقال: (ربكم) لمناسبة أن من يُتّقى هنا أهلاً لكل رحمة ورأفة فترتاح النفس وتُبعث على الرجاء في قبول التوبة والاستكانة إليه سبحانه. وفيها ما فيها من دلالة الرحمة بالعباد أن شرَّع الله تعالى ما يحفظ لهم إنسانيتهم وكرامتهم. وإضافة لفظ (رب) إلى ضمير المخاطبين يُنبيء عن عمق الصلة بين الخالق العظيم بخلقه ورحمته بهم وعظيم شأنهم عنده سبحانه وأنه ربُّ المسلمين وغير المسلمين جميعاً. فأكرمهم بتشريع صالح للناس جميعاً، والمساواة بينهم جميعاً فقال: (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء)؛ إذ افتتحت السورة بتذكير الناس أنهم خُلقوا من نفس واحدة وفي ذلك تمهيد جميل وبراعة مطلع لما في السورة من أحكام الأنكحة والمواريث والحقوق الزوجية وأحكام المصاهرة وغيرها[٢]. إذ كشفت الآية عن قضية وحدة الخلق، وأن البشر جميعاً مرجعهم إلى نفس واحدة؛ إذ "قرّعكم من أصل

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، تونس ، د. ت :٤ / ٢١٤ .

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط١٠ ، القاهرة (مصر) ، د. ت :١ / ٢٥٣ .

واحد وهو نفس آدم أبيكم"[١] ، فيكون قوله تعالى: (مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) كناية عن الكيان الذي خُلق منه آدم وحواء في آن واحد؛ "والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حوّاء من ضلع من أضلاعها"[٢] ، وهذا شبيه بما يفعله العلم اليوم في قضية الاستنساخ البشري[٣]، إذ المعنى أن الله خلق حواء من جسد آدم دون الحاجة إلى أب أو أم، فيكون الاثنان مخلوقين من نفس واحدة. ولعل هذا هو سرّ التشابه أيضاً في الحمض النووي بين الناس جميعاً. فبعد اكتشاف الشفرة الوراثية للانسان اتضح للعلماء التشابه الشديد في تركيب الحمض النووي الذي تكتب به الشفرة الوراثية ، وأنّ الحمض النووي (DNA) يتشابه فيه الخلق بنسبة ٩٩.٩ % فكان أمراً مذهلاً للعلماء كيف يكون الـ ٠.١ % أي مقدار (١ من ١٠٠٠) وهو مقدار الاختلاف في الحمض النووي بين البشر كلّهم؛ أقول كيف يكون ذلك كفيلاً في إعطاء كل فرد من مليارات البشر كل بصمته لتميزه عن البشر كلهم، ولعل الأهم من ذلك ما يذكره العلماء اليوم أن الكروموسومات أو الصبغيات أو حاملات الوراثة لها القابلية على الانقسام فتكرر ذاتها؛ فإذا عدنا بهذا النقسام إلى الوراء مع الزمن فلا بدّ أن تلتقي شفرات ملايير البشر كلها في شفرة واحدة، وهذا ما يفسر قوله سبحانه: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) تفسيراً علمياً والله أعلم.

وقوله: (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ، ذكر ابن الجوزي: (وَخَلَقَ مِنْهَا) للتبعيض في قول الجمهور[٤] وهذا منسجم مع ما ذكرناه من الاشارة إلى قضية استنساخ إنسان من خلية بشرية واحدة، أو أنّ معنى: (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أي الطين الذي خلق الله منه آدم هو الطين الذي خلق الله منه حواء ككيان واحد انقسم نصفين؛ وفي ذلك إشارة إلى المساواة بين الرجل والمرأة في أصل الخلق فهي نفس واحدة خلق منها الذكر والأنثى. ولتبيّن وحدانية الله تعالى فقد جعل سبحانه خلق كل شيء في هذا الوجود قائماً على نظام الزوجية فيبقى الله سبحانه وحده متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق خلقه جميعاً. وما يؤكد ذلك أن العلم الحديث يكتشف (DNA) مخصوص للنساء موجود في أجهزة الطاقة داخل الخلية (المايتوكوندريا) وهذا الـ (DNA) ينسب عند كل نساء الأرض حتى قيام الساعة إلى أم واحدة، فخلق الله حواء كما خلق آدم في زوجية (الذكر والأنثى)، وكذلك كل ذكر أو أنثى في الأحياء، أما ما ورد من أحاديث نبوية أن

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف، محمد بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله ابن المُنيّر آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م: ١ / ٣٥٣ .

(٢) ينظر: تفسير الكشاف: ١ / ٣٥٣ .

(٣) سنتحدث عن الاستنساخ الحيواني في المبحث الثاني.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٣٦٦/١ .

المرأة خلقت من ضلع أعوج فهو من قبيل المجاز فالمراد بذلك أن للمرأة طبيعة خاصة تغلب عليها العاطفة، أما القول بأن الله كسر ضلعاً من آدم وخلق منه حوّاء فهذا كلام لا يقبله العقل ولا يقبله العلم، والعلم يؤكد أن هناك فارق كبير في البناء الجسدي بين الرجل والمرأة، وهكذا يبقى قانون الزوجية منطبقاً على الخلق جميعاً. وأتى لفظ (نفسٍ) نكرة؛ والنكرة تدل على واحد من الجنس. ثم وصفها بـ(واحدة) دليل على انفرادها بأصل البشر. وأنه لم يسبق أن خلقت من نفس كمثلها؛ بل خلقت من تراب، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) [الروم: ٢٠]. وقال أبو السعود في تفسيره: تكرار الفعل (خلق) مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول؛ كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[البقرة: ٢١]، لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الأول بطريق التفريع من الأصل والثاني بطريق الإنشاء من المادة(١).

وذكرت الآية الكريمة في قوله: (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء) ثلاثَ صلاتٍ بواو العطف جُمَلُهَا خبرية يتحقق منها تفصيل خلق الناس من نفس واحدة. ويمكن أن يكون ضمير الغائب في قوله: (مِنْهَا زَوْجَهَا) كناية عن آدم عليه السلام. في مقابلة للآية الكريمة مع قوله تعالى في سورة الأعراف: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) [من الآية: ١٨٩] فذكر الجعل بدل الخلق ليصف في الأعراف البرمجة الالهية في هذا الخلق كسنة كونية سائرة إلى قيام الساعة. من هنا فقد انتظمت دراسة علم النفس الحديث اليوم وفق سنن كونية خلقية ثابتة للناس جميعاً فنجد أصول هذا العلم وفروعه هي نفسها منطبقة على المجتمعات البشرية كلها دون تمييز بين مجتمع وآخر أو عرق وآخر، فالنفس الانسانية أصلها آدم عليه السلام، وتَنْبَثُّ أسرارها كلها من مصدر واحد وبؤرة واحدة منذ لحظة الخلق الأول الذي صرح به القرآن الكريم في مواضع عدّة. ومادامت الانسانية كلها خارجة عن نفس واحدة فإن ذلك لدليل واضح وصريح على صلاح تشريع الله تعالى للبشر جميعا وللإنسانية كلها.

وقوله: (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) فخلق الله حواء من مادة آدم عليه السلام، وفي ذلك تنبيه وإلفات للعقول إلى العلاقة بين الزوجين والواحدية التي ستعرض لها بعض الآيات في هذه السورة لاحقاً، والاندماج الكامل في الحياة الزوجية، وأن ذلك مدعاة لاستقامة الأُسرة وضمان التآلف في العلاقة الزوجية، فضلاً عن أن هذه العلاقة هي ضمان وأساس للحياة الانسانية كلها. فقال: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء)؛ لبيان أن هذه العلاقة سبب لبداية التناسل

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ، القاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان) ، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م: ١ / ٩٢ .

والتكاثر بين مطلق الزوجين فيما بعد، وقوله: (رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء)؛ أي: ونساءً كثيرات[١] وترك التصريح به استغناءً بالوصف الأول، فيكون في الآية حذف إيجاز، وهذا مقضتى قانون التناسل والتكاثر. وبين (رِجَالاً) و (وَنِسَاء) طباقٌ لدلالة لشمول على أن لا أعراق بين الناس (فكلكم لآدم وآدم من تراب).

ثم أكّد بتكرار أمر تقوى الله تعالى فقال: (وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)، وفي ذلك ما فيه من تخويف النفس وتحفيزها في ذات الوقت على تقوى الله وخشيته في أحوالها كلها لتتحقق استقامة النفوس وصلاحها مع تحقق التقوى. وأن اسم الجلالة (الله) محط سؤالكم بعضكم بعضاً واستحلافكم وشفاعتكم. فقال في الأولى (اتقوا ربكم) وقال في الثانية (واتقوا الله)؛ لأن الأولى موضع امتنان ورحمة، والثانية موضع تساؤل بينكم فرهّب بذكر لفظ الجلالة (الله) ، وفي التحوُّل من (اتقوا ربكم) إلى (واتقوا الله)؛ تحول الخطاب من العموم إلى الخصوص وذكر الأرحام كمدخل للتوسع في تناول آيات الميراث. وقوله (والأرحام) أي اتقوا الله في الأرحام، أو اتقوا الأرحام أن تقطعوها، فقرن وجمع اتقاء الأرحام باتقاء الله للاهتمام. ثم ذكر (الأرحام) كنتيجة لقوله: (وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء) باعتبار أن رعاية الأرحام رعاية لبناء الأسر والمجتمعات؛ وبالتالي فهو رعاية لما بثّه الله تعالى من عموم الانسانية وصلاح حال الأمم. ومقتضى التقوى أن يعلم الانسان ويستشعر رقابة الله عليه، فذُيِّلت الآية الكريمة بجملة اسمية مؤكدة فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) ومن استشعر رقابة الله عليه كان ذلك دافعاً لتقواه ، وفي تقديم الجار والمجرور (عليكم) إيحاء للهيمنة والمراقبة منه سبحانه عليكم معشر المخاطبين. والآية تُشَرّع لمبدأ الانسانية وتأصِّلُ له، فقبل أكثر من ألف وأربعمئة عام قدّم الإسلام ذلك المبدأ وأصّل له القرآن وجعله موصولاً بتقوى الله ومؤشراً له. ثم إنّ في الآية ما فيها من جمال افتتاح وحسن مطلع وبراعة استهلال؛ إذ افتتحت السورة بخطاب للناس جميعاً من أصل واحد ومن نفس واحدة ؛ وأن لا تمايز بينهم إلا بالتقوى، فمهما تنوعت قبائلهم وأعراقهم، ومهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم فإنهم جميعاً ينحدرون من نفس واحدة وهذه هي مشيئة الله فيهم، فكانت الآية عنواناً لما في السورة من أحكام اجتماعية من نسب ومصاهرة وتشريعات وأحكام صالحة للبشرية كلها.

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط١٠ ، القاهرة (مصر) ، د. ت :١ / ٢٥٣ .

ثانياً: الإنسان مخلوق من تراب:

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾(٤٢).

والحديث عن الذين كفروا بأسلوب مسبوك بتهديد ووعيد شديدين، فقوله: (يَوْمَئِذٍ) يعني يوم القيامة؛ والتقدير: يوم نأتي بالشهداء؛ قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ)[المائدة: من الآية ١٠٩]. وقوله: (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ) أفاد المضارع (يَوَدُّ) الرغبة الشديدة واستمرار تجددها في النفس مع امتناع استحصالها، وقوله: (وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ) إطناب لأنه ذكر للخاص بعد العام فكفرهم يدخل فيه عصيانهم للرسول ﷺ، كما أن قوله: (وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ) جاء لمناسبة شهادة الرسول ﷺ عليهم وتركهم العمل بالشريعة وفحوى الرسالة. والتفت بالخطاب من المخاطب في الآية السابقة: (وَجِئْنَا بِكَ) إلى الغائب في هذه الآية: (وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ)؛ فدلّت على انتهاء الأمر وانتفاء طموح الذين كفروا وما يودون تحققه، فذكر ذلك بقوله: (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ)؛ كناية عمّا نزل بهم من الخذلان والندم والهلع، وهو تصوير عجيب لفظاعة ما يتمنّون؛ أن يكونوا من ذرّات تراب الأرض؛ فتسوّى بهم لهول الموقف الذي هم فيه؛ فتتشق الأرض فتبتلعهم فيكونون تراباً[١]. وفي العبارة إشارة علمية إلى أن الإنسان مخلوق من تراب، قال تعالى: (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب). وإشارة إلى مصطلح التسوية للأرض وهو مصطلح يستعمل اليوم في التسوية الترابية؛ وقد أطلق في قوله: (لو تُسوّى بهم الأرض) مجازاً مرسلاً عن التربة لعلاقة الكليّة، فيكون مجازاً علمياً مرسلاً أفاد مصطلحاً علميّاً معتمداً الآن في إجراءات التسوية الترابية لأغراض الزراعة والري. وقوله: (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)[٢] فسلك الأسلوبُ طريقَ الكناية عن نسبة؛ فكنى عن صيرورتهم تراباً. أو هي بمعنى أنهم لا يقدرون على كتمان سيئاتهم، قال تعالى: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النور: ٢٤]، ولا يُسألون عن المعاصي التي اقترفوها، أو أنهم يعودون أمواتاً وتسوّى عليهم الأرض، أو يكونون تراباً؛ قال تعالى: (ويقول الكَافرُ ياليتني كُنْتُ تُراباً).

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط١٠ ، القاهرة (مصر) ، د. ت : ١/ ٢٦٩ .

(٢) عطف الجملة (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ) على الجملة (وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) لمناسبة جمعت بينهما ؛ فالمعنى المشترك بين الجملتين هو تمني الإخفاء ؛ فالأولى تمني إخفاء أجسادهم تحت التراب ، والثانية تمني إخفاء كلامهم.

ثالثاً: القلب مركز التفكير:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾(٦٣).

فبيّن سبحانه أن ما ذُكر في الآيات السابقة هو كشف لأحوال أولئك المنافقين ودواخلهم؛ فقال: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)؛ وصيغة (يعلم) المضارعة أفادت معنى الاستمرارية وكشفت عن افتضاح أمرهم وهو سبحانه عليم علّام لا يخفى عليه شيء، وقوله: (مَا فِي قُلُوبِهِمْ) كناية عن النفاق الذي ملأ قلوبهم، فهو لم يصرّح بنفاقهم ليحدث في أنفسهم فرصة للمراجعة والتوبة؛ ورجاء توبتهم. فالقلوب هي مراكز التفكير؛ والقلب هو محرّك المعاني والأفهام ومولدها يعمل مع الدماغ في تناوب مستمر[١] ليستقر الإنسان على قرار ما ثم يطلقه للناس ليعرفونه أو يحبسه عنهم فيبقى سِرّاً في نفسه. فقال تعالى: (يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من تلك المناوبات الخفية بين القلب والدماغ قبل وبعد أن تستقر على قرار، والعبارة كناية عن فساد أفكارهم ومعتقداتهم[٢]، بقرينة قوله: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا)؛ فإنه ﷻ يعلم الخبايا والدوافع والأسرار النفسية، فقدّم ثلاثة أساليب تنتظم بحسب قانون فن الترقي، وهي أولاً الإعراض عنهم ليتبين لهم بشاعة أعمالهم وقبحها فيحدث ذلك في أنفسهم هواجس الخوف والقلق من سوء العاقبة، فلا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم؛ فيكون بهذا المعنى إيجاز حذف، وقدّم الجار والمجرور (في أنفسهم) للاختصاص فيكون القول مؤثراً في النفس بالغاً إيّاها. كما أن في قوله: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) مجاز مرسل علاقته اللزوم، فحقيقته الرفض وعدم الالتفات عبّر عنه بلازم معناه لدقة التصوير الحركي في اللفظة نفسها، وبما ينبئ عن تبكيتهم. ثم تأتي ثانياً الموعظة فقال:(وَعِظْهُمْ)؛ والموعظة انتقاله من الإعراض الذي

---

(١) حول القضية العلمية التي تقول: أنّ القلب مركز التفكير؛ إذ صدر العديد من الكتب والبحوث التي تثبت أنّ: القلب مركز الذاكرة، القلب مركز الشعور والاحساس والانفعال والعواطف والمواهب والملكات، وقال العلماء إنّ أي إنسان تجرى له عملية في القلب يفقد جزءً من ذاكرته فأدركوا أنّ القلب وعاء للذاكرة، ثم أدركوا بعد ذلك أنّ أي إنسان ينقل له قلب من إنسان آخر فإنه يكتسب من مواهب هذا الإنسان الآخر ومن عواطفه ومشاعره وقدراته مما لم يكن موجوداً عنده ؛ والقصص على ذلك عديدة فقد نقل قلب إنسان قتل غيلة إلى إنسان آخر فبدأ الثاني بالتعرف على القاتل وأدل الشرطة على الجاني فألقي القب عليه، ونقل قلب شاعر لسائق شاحنة لم يقل الشعر من قبل قط فبدأ بقول الشعر. ولهذا كما يقول الدكتور زغلول النجار بأن إشارات القلب في القرآن الكريم هي من أبلغ إشارات الإعجاز العلمي.

(٢) أو هي كناية عن تهديد ووعيد موجه إليهم.

هو زجر تام الى حالة تتضمن (الزجر والرفق) معاً فيعالج ذلك في تناوب مستمر جانباً آخر من فساد النفس، فبينت الموعظة أن الإعراض كان إعراض صفح وعدم حزن من صدودهم، ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي قوله: (وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا) جاذباً إلى الإيمان، مؤثراً في المشاعر موغلاً في أعماق النفس الإنسانية. والعبارة: (قَوْلاً بَلِيغًا) إيجاز قصر؛ أي قولاً مؤثراً فيهم يبلغ من نفوسهم ما يزجرهم عن العودة إلى أفعالهم، والتركيب كناية عن صفة أي قولاً مؤثراً فيهم يبلغ منهم ما يزجرهم عن العودة إلى ما فعلوه، وفي التعبير مجاز عقلي إذ وصف القول بأنه بليغ بمعنى بالغ فهو مجاز عقلي؛ إذ أسند الحدث للقول تعظيماً له فعدل به عن الحقيقة إلى المجاز .

المبحث الثاني

الوراثة والاستنساخ

أولاً: الرضاعة المحرِّمة وتأثيراتها على الوراثة:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾(٢٣)

في قوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) مجاز مرسل أي حُرّم عليكم نكاح الأمهات فهو على حذف مضاف[١]. وبدأ بالأمهات لمناسبتها مع تحريم أزواج الآباء كونهنّ كالأمهات مكانة ومنزلة، ثم عدَّد المحرّمات من النساء على الرجال من الأكثر قرباً ليكون على طريقة التدلّي وذلك على مستويين: الأول: مستوى المجاميع: فكانت المجموعة الأولى من النسب وهنّ: (أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ) ثم من الرضاع[٢] فقال: (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ)، ثم من المصاهرة فقال: (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ). والثاني: مستوى الدرجة في كل مجموعة، فنجد التدلّي واضحاً في كل مجموعة من تلك المجاميع؛ ففي مجموعة النسب قد ابتدأ بالأم وهي أعلى صلة نسباً، وانتهى ببنات الأخت وهي أدناها، وفي مجموعة الرضاع ابتدأ بالأمهات وأتبعها بالأخوات، وفي مجموعة المصاهرة

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير :١ / ٢٦٤ .

(٢) كشف الأطباء اليوم أن قرابة الرضاعة سببها العلمي هو انتقال العوامل الوراثية والمناعية من حليب المرضعة إلى الطفل الرضيع؛ فتخترق خلاياه وتندمج مع سلسلة الجينات عنده؛ فيكون الإرضاع عاملاً وراثياً مهماً ؛ علماً أن الجهاز المناعي لدى الرضيع يتقبل الجينات الغريبة (وهي أنوية الخلايا DNA)؛ لأنه غير ناضج وحاله في ذلك كحال أجهزة عديدة في جسمه لا تنضج إلا بعد أشهر أو ربما سنوات من ولادته. وللسبب نفسه فإن الرضاعة المحرمة لا يشترط فيها المص من الثدي ؛ بل إن وُضع الحليب في إناء وشربه الطفل كان ذلك رضاعاً معتبراً. ومما يؤيد هذه القضية أيضاً ما توصّل إليه الطب مؤخراً من اكتشافه للخلايا الجذعية في الحليب البشري.

ابتدأها بأمّهات النساء وهو تحريم أبدي وختمها بالجمع بين الأختين وهو تحريم مؤقت، إذ حُرِّمَ بسبب عارض، فإن زال العارض زال التحريم.

أما الرضاع فقد اعتبرت له هذه الحرمة لمعنى فيه وهو أنه الغذاء الذي لا غذاء غيره للطفل يعيش به ، فكان له في الأثر في دوام حياة الطفل ما يماثل أثر الأم في أصل حياة طفلها ، فلا يعتبر الرضاع سبباً في حرمة المرضع على رضيعها إلا ما استوفى هذا المعنى وهو ما كان في مدة عدم استغناء الطفل عنه(١). أما عمّا وقف عليه الرضاع من الحقائق العلمية فيمكن أن نذكر بعضها: إن الرضاعة الأمومية (البشرية) وتسمى أيضا الطبيعية أو رضاعة الثدي (Breast feeding)، هي الغذاء المثالي والضروري للطفل الرضيع، الفوائد الكثيرة التي لا حصر لها بالنسبة له، وكذلك بالنسبة للأم على حد سواء، مقارنة بالرضاعة الصناعية (خلائط الرضع البقرية المنشأ) والتي تسمى أيضا، برضاعة القنينة (Bottle feeding)، مما ينعكس بالفائدة أيضا على المجتمع والأمة. إن الطب الحديث يكتشف وباستمرار الكثير من الفوائد للرضاعة الأمومية، كلما تقدمت العلوم والبحوث، مما جعل الجمعيات الطبية العالمية المتخصصة بالأطفال (كالجمعية الأمريكية لطب الأطفال وغيرها)، ومنظمة رعاية الطفولة التابعة للأمم المتحدة (UNICEF)، وكذلك منظمة الصحة العالمية (WHO)، تؤكد على أهميتها وفائدتها في جميع توصياتها(٢). والاكتشاف المهم الذي توصل إليه الطب حديثا هو وجود الخلايا الجذعية (Stem Cells) والأجسام الرنا المايكرونية (MicroRNA) المسؤولة عن التعبير الجيني للصفات الوراثية ، وهذا الإكتشاف بحد ذاته نقلة نوعية مهمة في المجالات الطبية العلاجية، في حلقة الأبحاث المعنية بالخلايا الجذعية ؛ إذ بإمكان هذه الخلايا بناء وإصلاح وتجديد أنسجة الجسم وخلاياه، وكذلك بالنسبة للجسيمات الرنا المايكرونية. وتشير الدراسات إلى أن هذه الخلايا والجسيمات التي تتكون في الغدد الثديية للأم المكونة للحليب هي امتداد لعمل الخلايا الجذعية من المشيمة، المسؤولة عن الإمداد الدموي والغذائي للجنين في فترة الحمل، وهي تسلم وظيفتها بعد الولادة للغدد الثديية المكونة للحليب لإكمال تميزه الجيني والنسيجي والمناعي. فالرضاعة البشرية تكمل ما بدأت به المشيمة، ومن تقدير الله عز وجل أن جعل الجهاز الهضمي للطفل الرضيع مهيئاً ليسمح بمرور هذه الخلايا الجذعية وغيرها من الخلايا المناعية فضلا عن الجسيمات الرنا المايكرونية قبل انغلاق الحاجز المعوي الدموي (Blood Barrier –Intestinal)؛ مما

---

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور : ٤ / ٢٩٦ .

(٢) ينظر: الجديد من التفسير الطبي للآيات القرآنية ، الدكتور محمد جميل الحبال، الإصدار (٤) من إصدارات رابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى، مطبعة ماشكي، الموصل (العراق)، ٢٠٢١ : ٨١.

يساعد على نمو وبناء وتوجيه وتطوير جسمه في الوقت نفسه[١].

وفي قوله: (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم) إطناب؛ والحالة على التغليب، فيكون في العبارة تلويح إلى أنها بمنزلة البنت التي تُربّى في حجر أبيها، وهي تحرم وإن لم تربى في حجر الزوج. وقوله: (فِي حُجُورِكُم) تعبير كنائي عن الحضانة والكفالة. واحترس بقوله: (اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ) بعدم تحريم بنات الزوجات اللاتي عقد عليهن ولم يُدْخلْ بهن لموتهن أو طلاقهن، والتعبير كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب[٢]؛ فقال: (فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) فأطنب وأوضح مع ندرة احتمال حدوث هذه الحالة. وقوله: (وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ) فأوجز وصوّر مشهداً عظيماً في لفظة الحلائل؛ فالحليلة تحل مع زوجها حيث حلّ، أو من الحلال بمعنى محلّلة، وقوله: (مِنْ أَصْلاَبِكُمْ) احترس عن مجاز الأبناء؛ فلا يطلق الحكم على الابن بالتبني؛ فقد كان التبني معمول به في الجاهلية فأبطله القرآن. وقوله: (وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ) فحرّم القرآن الجمع بين الأختين، وجاء في السنة تحريم الجمع بين المرأة وعمّتها والمرأة وخالتها، فالقاعدة في التحريم هنا هي: كل امرأتين بينهما رحم محرّم لو قدّر أن يكون أحدهما ذكراً والأخرى أنثى؛ حرمت عليه، فإنه يحرم الجمع بينهما. وقوله: (إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) تكرار للاستثناء في الآيتين فيه فائدة أن نتاج ذلك الزواج قبل التحريم هو نتاج شرعي، فالأولاد أولادٌ شرعيون يرثون كما يرث سواهم من الأولاد. ولعل سر تكرار قوله تعالى: (إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) في تحريم نكاح زوجات الآباء والجمع بين الأختين ما ورد عن ابن عباس وذَكَرَه الطبري وابن كثير في تفسيريهما أنّه: كان أهل الجاهلية يُحرّمون ما يُحرّم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين. قال فأنزل الله: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) و (وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ) فتكررت العبارة في الآيتين لفائدة التنبيه والاحتراس للحفاظ على ما كان قد تأسس قبل نزول التحريم من علاقة زوجية، فهي من رحمته سبحانه بعباده. وقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً) غفوراً لما قد سلف من عادات الجاهلية التي مورست قبل التحريم، رحيماً بكم؛ فاستثنى ما قد سلف من تلك الأفعال. ويشار إلى أن الله ﷻ ذكر من كل صنف من أصناف المحرمات بعضه، فدخل في الأمهاتِ الجدّاتُ وفي البناتِ بناتُ الأولادِ وغير ذلك، فبعضها يؤخذ من آيات أخرى، وبعضها وضّحته وبيّنته السنّة النبوية.

---

(١) ينظر: من إصدارات رابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى، مطبعة ماشكي، الموصل (العراق)، ٢٠٢١: ٨٦ .

(٢) ينظر: صفوة التفاسير :١ / ٢٦٤ .

ثانياً: الاستنساخ البشري والحيواني:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (١١٩)

ثم تابع أفعال الشيطان وقسمه بإضلال الناس عن الحق والصراط المستقيم فقال: (وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ) فيضلنهم عن الحق ويمنينهم بالأماني الباطلة الكاذبة الساذجة، (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ) وهو وسمها للأصنام بشق آذانها أو قطعها بطريقة خاصة، وقد كشف العلم اليوم عن قضية هي غاية في الأهمية متعلقة باستنساخ الحيوانات؛ إذ وجدوا أن أفضل الخلايا الحيوانية المعتمدة في عمليات الاستنساخ هي خلايا الآذان، بمعنى أن قوله تعالى: (فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ) تضمن معنى علمياً دقيقاً هو كناية علمية عن الاستنساخ الحيواني من خلايا الآذان. بقرينة قوله: (فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) وكذلك الاستنساخ فيه ما فيه من تغيير خلق الله.

وقوله: (وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) وهو ضرب آخر من المعاصي ومشاقة الرسول، وتغيير خلق الله وجوه عديدة منها الوشم وعمليات التجميل التي لا ضرورة صحية لها. وذهب الشيخ محمد عبدُه إلى: "أن المراد تغيير الفطرة الإنسانية بتحويل النفس عمّا فطرت عليه من الاعتدال وصحة الأعمال، إلى الانحراف وعمل الرذائل والمنكرات، فإن الله سبحانه وتعالى قد أحسن كل شيء خلقه، وهؤلاء يفسدون أنفسهم بتحريف الفطرة"(١)، وذكر الشيخ رشيد الخطيب أنه قد: "ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به التغيير الحسي، كحلق الوجه وأمثاله"(٢). ثم ذيّل الآية بقوله: (وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيا مِّن دُونِ اللَّهِ) بالاستجابة الى غوايات الشيطان (فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا) في الدنيا والآخرة، وفي العبارة جناس مغاير.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾(١٧١)

والخطاب موجه إلى النصارى في أمر عيسى عليه السلام كما هو موجّه إلى اليهود أيضاً، فنهاهم عن الغلوّ في الدين؛ فقال: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ) والغلو هو تجاوز الحدود إفراطاً وتفريطاً، وبيّن وجه تفريطهم في ذلك فقال: (وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ) ردّاً على قولهم إن المسيح ابن الله وما زعموه من ألوهية المسيح (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ

(١) أولى ما قيل في آيات التنزيل، رشيد الخطيب الموصلي : ٣/ ٢١٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٣/ ٢١٥ .

اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ)؛ فعرّف بالمسيح أنه رسول الله موحى إليه كما أوحي إلى الرسل من قبله، وفي العبارة قصر موصوف على صفة[١]. وقوله: (وكلمته)؛ أي كلمة التكوين (كن فيكون)، وقوله: (أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) لتكون المعجزة، معجزة خلق عيسى من أم دون أب[٢]. وقوله: (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أي أنه خلقه ونفخ فيه من روحه كما نفخ في آدم، وأنه بشر مخلوق من روح وجسد كسائر البشر، (فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ)؛ ثم أمرهم بالإيمان الصحيح الإيمان بالله ورسله كلهم دون أن يفرّقوا بين أحد منهم، وذلك من أركان الإيمان وموجباته، ثم نهاهم عن عقيدة التثليث فقال: (ولا تقولوا ثلاثة) يريدون بها إشراك عيسى وروح القدس بعبادته سبحانه، وروح القدس جانسه ما جاء في قوله تعالى: (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أو التثليث بـ (الله عيسى وأمه) ودليله قوله تعالى :(يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إليهن من دون الله)، ثم اتبعها بنهي وتهديد فقال: (انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ) فانتهوا عن عقيدة الشرك يكن خيراً لكم، وتنالوا سعادة الدارين فقال: (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ليس له شريك في ملكه أو نظير له في قدسيته فقال: (سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) وهو ما ادعاه أهل الشرك من النصارى، ثم نبّه إلى ملكه سبحانه فقال: (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)؛ أي له كل شيء مخلوق في هذا الكون، وقوله: (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) في تدبيره شؤون المخلوقات كلها.

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير :١ / ٣١٥ .

(٢) ولعلنا نتفق على محاكاة لهذه المعجزة باعتبارها سائرة بحسب السنن الكونية متمثلة بقضية الاستنساخ البشري. إذ يمكن تكوين جنين من خلية أنثوية أو من خلية ذكرية دون الجمع بين الذكر والأنثى.

المبحث الثالث

قضايا الجلد وبصمة الوجه

أولاً: الجلد والاحساس بالألم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٥٦)

فبعد أن ذكر قوله: (وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) [النساء: من الآية ٥٥] اتبع ذلك مؤكداً أن من كانت فيهم هذه الصفات؛ فهم الكافرون المستحقون لذلك العذاب؛ فقال: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا)؛ فيكون للآية حكم التذييل لما قبلها ولذلك فصلت عنها، وجاءت على سبيل التعميم؛ فكانت تهديداً ووعيداً للكافرين جميعاً. وقوله: (كَفَرُواْ) بزمن الماضي جاءت تأكيداً للفعل، وقوله: (بِآيَاتِنَا) مضافاً لنون العظمة تعظيماً للموقف، وتشنيعاً لما اقترفه هؤلاء من سوء الفعل وسوء العاقبة. والآيات هي المعجزات أو هي آيات القرآن الكريم، أو غيره من آيات الكتب السماوية السابقة، فيمكن أن يكون معنى كفروا بآيات التوراة والانجيل أي كفروا بها ثمّ حرّفوها وأوّلوها إلى غير مرادها. فجاء وعيد الله لهم (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) مبتدئاً بـ (سَوْفَ) التي تفيد تأكيداً مستقبلاً للوعيد. وقوله: (نُصْلِيهِمْ) تدل على طول العذاب المستقبلي وتجدده، والصَّلْيُ معلوم أنه الإحراق بالنار ؛ ولكن ذكرت النار تتميماً ومبالغة وتشميتاً بالكافرين.

ثم بيّن سبحانه وصف جانب من جوانب ذلك العذاب المهين فقال: (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ)؛ لبيان أنهم لن يموتوا أبداً في هذا العذاب، وتبديل الجلود تعني بداية مؤلمة جديدة في كلّ مرّة، وفي قوله: (كلما) دليل التناوب؛ فقد برمجت حالة هؤلاء على مناوبة واستمرار فلا يستمع الى استنجادهم أو الى توسلهم في القضاء عليهم (وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) إنهم ماكثون تحت وطأة برنامج من العذاب يراقب عليهم جلودهم كلما نضجت بُدّلت جلوداً جديدة، وهكذا يستمر هذا المقطع من العذاب بالتكرار ثم التكرار. والتكرار بحد ذاته هو وجه من وجوه العذاب حتى وإن كان في تكرار النعمة فما بالهم بتكرار العذاب–أعاذنا الله–. فالجلود لا تحتاج لنضجها في نار جهنم ليس أكثر من دقائق معدودة بحسب مقاييسنا الزمنية وربما أقل من ذلك، فتجديد جلودهم يتكرر في كل دقيقة، ثم إنه قال: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) ولم يقل: ماتت جلودهم؛ فنضج الجلود إشارة إلى لحظة موتها، وذلك لبيان حقيقة العذاب الشامل لخلايا الجلد كلّها، فصوّرت هذه الكلمة النار وهي تصلي الكافرين وتتفنن في إنضاج جلودهم لتعود من جديد إلى الحياة خلية خلية (لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ)، وكذلك قوله: (لِيَذُوقُواْ) تحمل دلالة الاستمرارية وعدم التوقف. وقوله: (ليذوقوا العذاب) تعليل لقوله: بدلناهم؛ لأن الجلد هو الذي يوصل إحساس العذاب إلى النفس،

بحسب عادة خلق الله تعالى، فلو لم يبدل الجلد بعد احتراقه، لما وصل عذاب النار إلى النفس. وتبديل الجلد مع بقاء نفس صاحبه، لا ينافي العدل، لأن الجلد وسيلة إبلاغ العذاب وليس هو المقصود بالتعذيب، ولأنه ناشيء عن الجلد الأول، كما أن إعادة الأجسام في الحشر بعد اضمحلالها، لا يوجب أن تكون أناسا غير الذين استحقوا الثواب والعقاب، لأنها لما أودعت النفوس التي اكتسبت الخير والشر صارت هي هي، ولا سيما إذا كانت إعادتها عن إنبات من أعجاب الأذناب، حسبما ورد به الأثر،لأن الناشئ عن الشيء هو منه كالنخلة من النواة[١]، وقال الدكتور وهبة الزحيلي: كلما احترقت جلودهم، حتى لم تعد صالحة لنقل الإحساس بالألم إلى الدماغ في مركز الشعور، بدلناهم جلود أخرى حية تشعر بالألم وتحست بالعذاب[٢].

وتعد هذه الآية واحدة من شواهد الاعجاز العلمي؛ إذ وقف العلم الحديث في القرن العشرين على حقيقة أن خلايا الإحساس موجودة في الطبقة الجلدية، وأما ما تحت طبقة الجلد فيكون الاحساس فيها بالألم ضعيفاً، ووجه الاعجاز في هذه الآية أنها أشارت الى حقيقة علمية قبل أن يكتشفها العلم بمئات السنين. وملخص هذه الومضة الإعجازية أنّ نهاية الأطراف العصبية تنتهي جميعها في الجلد؛ فجلد الانسان يتكون من ثلاث طبقات ؛ البشرة والأدمة وما تحت الأدمة ، إذ تتوزع وتتشعب في الجلد شبكة مكثفة من النهايات والخيوط العصبية تنتشر في طبقة الأدمة والتي تتصل بالمخ وبالحبل الشوكي، وإذا زادت درجة الحرارة عن ٤٥ درجة مئوية فإن كل مستقبلات الحرارة تتحول إلى مستقبلات للألم فيتضاعف الشعور به أضعافاً كثيرة، فإذا كان الحرق شديداً فحرق طبقات الجلد أو أزال الجلد بأكمله فإنه يتوقف الإحساس بالألم، فيكون في الآية كناية علمية عن وجود الخلايا الحسيّة وتركيزها في الجلد؛ وهذا ما اكتشفه العلم الحديث مؤخراً[٣].

وفي قوله: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) كناية علمية عن توقف الإحساس بالألم بسبب موت خلايا الجلد بما تحويه من شبكة الخلايا الحسية. وقوله: (لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ) هي استعارة مسبوكة بفن تراسل الحواس[٤]، فالذوق والاحساس يصل الى النفس بوساطة الحياة في الجلد، وكأنه

---

(١) يُنظر: تفسير التحرير والتنوير : ٩٠/٥.

(٢) يُنظر: التفسير المنير : ١١٨/٥.

(٣) المنتقى من التفسير الطبي للآيات القرآنية، د.محمد جميل الحبال، دار الفكر المعاصر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، دمشق (سوريا): ١١٢.

(٤) وهذا الأسلوب شغل اليوم دارسي وباحثي البرمجة اللغوية العصبية باعتبار استعمال الحواس في غير ما وضعت له، وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة.

يتذوق بلسانه آلام العذاب. وقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) تذييل تضمن تعليلاً والتفاتاً ؛ فجاء التعليل لبيان حكمته وعظيم قدرته، والتفت من الجمع والمتكلم (بدّلناهم) إلى صيغة الغائب المفرد (لفظ الجلالة) لبيان أن ذلك الحكم على الكافرين قد أصبح واقعاً لا يتغير.

ثانياً: بصمة الوجه:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(٤٧)

والخطاب موجه إلى الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى؛ وفي كنايتهم بـ (الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ) تذكير لهم بما أنزل عليهم من الرسالة؛ ودعوة لهم كذلك إلى أن يكونوا أهلاً لحمل تلك الأمانة وأعبائها، ثم قال: (آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم) باعتبار الصلة العظمى بين التوراة والانجيل والقرآن، وأنّ التوراة والانجيل قد بشّرا برسالة محمد ﷺ ، وهذا ما يوجب وصفهم جميعاً بصفة الكتاب، وقال فيما سبق: (أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) باعتبار الاتحاد بين التوراة والانجيل والقرآن، فكان لهم نصيب منه وهو التوراة لليهود والانجيل للنصارى ، وهو ما يوجب عليهم الإيمان بتتمة الكتاب وخاتمته وخلاصه وهو القرآن، فكان قوله: (آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا) كناية عن التوراة والانجيل السالمين من التحريف؛ فالقرآن الكريم جاء مصدقاً لما في التوراة والانجيل غير المحرفين، وفي ذلك معنى الاحتراس الذي يفيد أن ما نزله الله تعالى في القرآن الكريم لا يخالف ما معهم من الكتاب والتنزيل[١]. ثم أنذرهم من ارتكاب جرم تكذيب القرآن وأنه تكذيب ضمنيّ للكتاب كله، فقال: (مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) وهو تهديد صريح بالمسخ؛ ولذا فقد تمم بقوله: (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ)، والطمس: إزالة الأثر وإخفاؤه، وفي (نطمس وجوهاً) مسخٌ لها تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التي عُمّيت سطورها وأشكلت حروفها[٢]. فيكون المعنى محو الوجوه وملامحها، وخصّ الوجوه لأنه بها يعرف الانسان، فبصمة الوجه؛ تعرف بها هوية الانسان وبها يتمايز البشر؛ وفي الآية ما فيها من الإشارات المستقبلية لأهمية اعتماد صورة الوجه كأهم بصمة للتعرف على الشخص فنجد التطور التكنولوجي والتحول من استخدام الوسائل الاعتيادية في شتى المجالات إلى أخرى

---

(١) والآية الكريمة تحمل معنى مهماً وعظيماً مفاده توحيد البشرية على الدين الحق كونه صادر من الله تعالى، وأن الأديان السماوية تصدّق بعضها بعضاً ، وأن ما فعله اليهود من التحريف والتزوير هو سبب ضلال الناس وما يحدث من الصراعات الدينية إلى يومنا هذا، فقدّمت الآية الكريمة فرصة لتوحيد الآراء الدينية وصون الأفعال الصادرة عن القادة الدينيين لتكون في اتجاه واحد.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير :١ / ٢٧٦ .

تعتمد على التقنيات الحديثة والبيانات الرقمية، أفادت من عظيم صنع الله تعالى وحكمته في خلق البشر، فلكل فرد خصائصه التي تميزه عن غيره ومن أهم هذه الخصائص الوجه والعينين وغيرهما. فتعد تقنيه تمييز الأشخاص واحدة من انجح التقنيات في مجال تحليل الصور وإجراء العمليات عليها. فتقنية تمييز الوجوه أو بصمة الوجه هي ناتج للتقدم الهائل في كافة المجالات وخصوصاً في مجال تقنية الصور وقد لاقت اهتماما من نطاقات عدة سواءً على نطاق المؤسسات الخاصة والحكومية أم على نطاق الأفراد. ويعد الأمن من أهم المجالات التي استخدمت فيها هذه التقنية على نطاق واسع في الآونة الأخيرة. واليوم توصل الانسان إلى بصمات عدّة منها بصمة الوجه والأذن والعين والصوت، فكل ذلك سيمحى بالطمس، فلا يعرف أحدهم الآخر، وهي عقوبة كبرى تشبه عقوبة المسخ قردة وخنازير، فيُضطر لمعرفة الانسان من بصمات أخرى، فقال: (فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا)، وفي ذلك بيان قدرة الله وعظمته، وقد اختلف المفسرون في معنى العبارة؛ ولعل أقربها قول الآلوسي: (نجعلها على هيئة أدبارها وأقفائها مطموسة مثلها، فإن ما خلف الوجه لا تصوير فيه وهو منبت الشعر). كما اختُلِفَ في الوعيد هل هو في الدنيا أم في الآخرة.

وقوله: (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ) فيصيبهم مثل ما أصاب أصحاب السبت من المسخ قردة. قال رشيد الخطيب الموصلي: (والذي أراه أن اللعن يعود إلى النفس فتكون كنفس القردة ولا تبقى نفساً إنسانيّة. وأمّا الطمس فيعود إلى المواهب العقلية فلا تدرك الحق بتاتاً ولا تراه والله أعلم) فيكون المسخ مجازاً وكذلك الطمس يمكن أن يكون مجازاً فهو وعيد لهم بزوال شأنهم. وبحسب ذلك يكون المراد من التشبيه بلعن أصحاب السبت الاغراق في وصفه.

ثم ختم الآية بقوله: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) ليؤكد إمكانية ذلك المسخ حقيقة، وأنّ وعيد الله لأولئك المستكبرين المعاندين واقع لا محالة أكّد ذلك الالتفات مزدوج من المتكلم (نلعنهم) إلى صيغة الغائب لفظ الجلالة (الله)، ومن الجمع (نلعنهم) إلى صيغة المفرد (الله) ﷻ؛ وذلك استحضاراً للمهابة، وتأكيداً لإمكان الوقوع حقيقة.

الشاهد الثاني: حول بصمة الوجه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (١٢٥)

فبعد أن تحدث عن أماني أهل الكتاب باعتبارهم أنفسهم على أفضل دين وأحسن حال بيّن الدين الأمثل عند الله سبحانه فقال: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّه)؛ فقد تضمنت العبارة استفهاماً إنكارياً مجازياً يفيد النفي، أي لا أحد أحسن ديناً ممن سيأتي وصفهم؛ "وفي الوجه قولان: أحدهما : أنه الدين، والثاني: العمل"[1] ، فقال: (من أسلم وجهه

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي :١ / ٤٧٨ .

لله) وإسلام الوجه كناية عن صفة تمام الطاعة، وهي أحسن الكنايات لأن الوجه أشرف الأعضاء ، وفيه يميز به الانسان، وذكرنا فيما سبق قضية الطمس في الآية (٤٧) من سورة النساء في قوله: (مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا)، فاختار الطمس للوجه لأنه العضو الذي يعرف به الإنسان ويميز عن غيره.

وإسلام الوجه لله والطاعة له هي الصفة الأولى المتضمنة لتوحيد الله تعالى والعيش مع هذا التوحيد في كل أمور الحياة ومفاصلها، فيصير مستسلماً لله تعالى في كل أموره وتصاريف أقواله وأفعاله، "وقيل: بذل وجهه له بالسجود، وقيل أخلص عمله له عزّ وجل"[1] . وقوله: (وَهُوَ مُحْسِنٌ) وهي الصفة الثانية التي تضفي جماليات الأخلاق وسكينة التعامل، وروعة الاختيار. وقوله: (وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) هي الصفة المتضمنة لاتباع أصول الدين كله وهي ملة ابراهيم عليه السلام؛ إذ هو مائل عن الوثنية كل الميل عامل بالتوحيد في أمور الحياة كلها. ثمّ بيّن رفعة مكانة إبراهيم عليه السلام وبالتالي هي رفعة الملّة ومكانتها فقال: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)؛ والعبارة من باب الاستعارة التمثيلية لتنزيهه سبحانه عن صاحب وخليل، والمعنى اصطفاه لإقامة دين التوحيد وجعله اصلاً للاديان السماوية كلها، وجعل اتباعه أساس الدين الأمثل والأحسن الذي لا شيء خير منه. فنال الخيرية في الأمور كلها. وقيل: اصطفاه بأقصى سلامة الفطرة وقوة العقل وصفاء الروح وكمال المعرفة وفنائه في التوحيد وثباته في ذلك. وظهور لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار إطناب يفيد التأكيد، وكذلك ظهور اسم الخليل في موضع الإضمار إطناب يعمق صورة التكريم أو لتفخيم شأن الرسول.

(١) تفسير أبي السعود :٢ / ٢٠٠ .

المبحث الرابع

موضوعات الفيزياء والهندسة

أولاً: المقاييس الكبيرة:

١. لفظ (القنطار): قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٢٠)

وبعد أن أمر الرجال بحسن معاملة النساء؛ وقدّم لهم قاعدة عامة في الخير والشر؛ لبيان أن الخير بيد الله تعالى يجعله حيث يشاء؛ فقال: (وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) [النساء: من الآية ١٩]عمد بعدها إلى ذكر حالة الفراق لمجرد الكُره، وعدم الرغبة في الحياة مع الزوجة؛ فقال: (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ) فذكر قضية الاستبدال لعدم إتيان الأولى بما يستحق ذلك الاستبدال؛ وإنما هي رغبة الرجل أو قناعته، فقال: (اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ) لبيان أمور هي: أولاً: أن الزوجة الأولى لم تأت بفاحشة مبيّنة؛ بل إنها راغبة في حياة طبيعية كريمة. ثانياً: المساواة عند الشرع بين الزوجتين كونهما شريفتان عفيفتان. ثالثاً: بيان للرجل أن الزوجة الثانية قد لا تكون أفضل حالاً من الأولى؛ فهو توجيه له بعدم التسرّع في القرار، ثمّ نهى الرجال عن استرداد شيء من المهر. وقوله: (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا)؛ و(قِنطَارًا) كناية عن صفة الكثرة؛ أي: ولو كنتم أعطيتم إحداهنّ مهراً عالياً ومقداراً كبيراً وهو أعلى المهور؛ ليشمل مقادير الأمور كلّها قليلها وكثيرها. فقال: (فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا) سواء إن كان مقبوضاً أو لا زال في ذمّتكم، ونبّه هنا على هذه المسألة لحاجة الرجل إلى مهر جديد يقدّمه للزوجة الثانية، فقد تراوده فكرة الأخذ من مهر الأولى وإعطائه للثانية. ثم ختم الآية باستفهام إنكاريّ مبيّناً فظاعة ذلك السلوك الأناني الخارج عن أصول الأخلاق الكريمة؛ فقال: (أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)؛ والبهتان: الباطل والإثم الواضح البيّن؛ لأنها لم تأت بذنب يستحق أن تُمنع من مهرها. وكَنَّى بالقنطار لاعتبار الأخذ على هذه الصورة قائماً مقام القذف بما لا حقيقة له ولهذا سمّاه (بُهْتَانًا) وجعله: (إِثْمًا مُّبِينًا). كما أنّ قضيّة الاستبدال ليست شرطاً في هذا الحكم؛ بل إنّ الرجل إن رغب عن زوجته وأراد فراقها مع عدم الرغبة في الزواج من أخرى فإنه ينطبق عليه الحكم نفسه، فلا يحق له أن يأخذ شيئاً من مهر مُطَلّقته.

٢. لفظ: (الغليظ): قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٢١)

استفهام إنكاري ثان فيه من التعجيب من حال من يسلك هذا المسلك متناسياً ما كان من الحياة وإفضاء إلى الزوجة؛ فضلاً عمّا أعطاه من ميثاق عقد النكاح.. فكان أسلوباً قرآنيّاً فريداً في مخاطبة العقول والأنفس معاً. وقوله: (وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ)؛ كناية عن القرب الشديد والتداخل والاندماج بين الزوجين. قال الشيخ محمد عبدُه: (وفي التعبير بقوله: (بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) إشارة إلى كون كل واحد من الزوجين بمنزلة جزء الآخر وبعضه المتمم لوجوده)؛ فهما كالكائن الواحد يكمل بعضه بعضاً. كما أن في العبارة القرآنية معنى الاندماج الحياتي لفترة زمنية سابقة تكاشفت فيها النفوس وتعانقت الأرواح؛ عبّر عنها القرآن في موضع آخر: (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن). والإفضاء من الفضاء ، والمعنى يدل على اختصار مسافات بين الاثنين ليكونا كالواحد في كل شيء[١]؛ وقوله: (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) فقد سمّى العقد أو العشرة بالميثاق، ووصفه كونه غليظاً لشدة الاعتناء به على سبيل الاستعارة المكنية؛ فاستعار لفظ الميثاق للعقد الشرعي[٢]، فشبهه بالحبل القوي، الذي لا ينقطع إلا بقصد أو بحادثة خطيرة تمنع من بقائه على حاله، فذكر المشبه وحذف المشبه به، وفي العبارة تصوير لقوة ذلك العهد الوثيق.

ثانياً : المقاييس الصغيرة:

١. لفظ (ذرّة) : قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤٠)

ثم بيّن سبحانه مقياس التعامل مع الله بصدق وإخلاص ؛ وإنّ كلّ عمل مهما صغُرَ ودقّ فله وزنه عند الله فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) ؛ فهو سبحانه لا يُفَوِّتُ أجر عمل صالح مهما صغُر ولو كان كمثقال ذرة، وهي النملة الصغيرة، وعن ابن عباس أنه أدخل يده

---

(١) وما تلك الفكرة بغريبة على المسلمين؛ فإننا نجد حديث رسول الله ﷺ يذكر المعنى نفسه في وصف حال المؤمنين فيقول: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) فيكون الزوجان في ذلك المعنى أولى تحقيقاً له لحصول الايمان وارتباط الزوجية.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: ١/٢٦٠ .

في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة[١]، وهي الهباءة وذلك على سبيل التمثيل تنبيهاً بالقليل على الكثير[٢]، فجاء الوصف على طريقة التشبيه التمثيلي[٣] ليبين دقة المقياس الإلهي مع قضية الإخلاص والعمل، ودقة عدله سبحانه مع أقل القليل؛ فهو سبحانه لا يظلم أقل القليل ولو بمقدار ذرة[٤] مما لا يعرف له ميزان؛ ليُنشيء في النفس راحة وطمأنينة. ثم بيّن خصوصية الأعمال الصالحة بعد مرحلة الميزان؛ فجعل قانون المضاعفة خاص بالأعمال الصالحة والحسنة دون سواها، فقال: (وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا)؛ أي إن تك تلك الذرة حسنة يضاعفها ﷻ. وقوله: (وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)؛ وهو المستوى الثالث في

---

(١) ينظر: الكشاف، الزمخشري: ٣٩٢/١ .

(٢) ينظر: صفوة التفاسير: ٢٦٨/١ .

(٣) أخرج المعنى العقلي بصورة حسية، والجامع بين الطرفين ذلك الأثر النفسي الذي يتركه نقص الوزن مهما كان قليلاً؛ فالنفس حريصة على استكمال حقوقها.

(٤) الذرة مصطلح قرآني؛ تحمل عند المفسرين معان عدّة منها: النملة الصغيرة التي لاتكاد ترى، أو الهباء (ذرة الغبار)، والمصطلح العلمي الانكليزي Atom يرجع إلى الكلمة الإغريقية أتوموس التي تعني غير القابل للانقسام؛ إذ كان يعتقد أنه ليس ثمة ما هو أصغر من الذرة. ولمّا ترجمت المجامع العلمية العربية هذه الكلمة اختارت الكلمة القرآنية (الذرة)؛ وهذه المسألة بحد ذاتها تعد من الإعجاز المصطلحي للقرآن الكريم، فكثير من المسميات القرآنية لجأ إليها علماء الإختصاصات العلمية وسيأتي الحديث عن العديد من تلك المصطلحات في مواضعها مثل (الحُبُك) في قوله تعالى: (والسماء ذات الحُبك)، أو مصطلحات أخرى مثل: (العلقة، والمضغة، وغيرها...) ، من هنا فقد قال علماء الاعجاز العلمي أن مصطلح (الذرة) مقصود به مكون المادة؛ إذ لا يمكن أن يقصد به النملة أو الهباء؛ لأن النملة واحدة من ألفاظ القرآن وكذلك الهباء؛ فقال: (قالت نملة يا أيها النمل...)، وقال: (فكانت هباءً منبثاً)؛ ثم إننا ليس لدينا دليل على وجود النمل في السماوات قال تعالى: (مثقال ذرة فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله). أمّا مصطلح Atom فقد أُطلق خطأ؛ في حين كان يعتقد أنّ الذرة هو الجزء غير القابل للتجزئة ؛ وهو في القرآن الكريم جزء قابل للتجزئة فقال: (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) فقصد به الشيء الأصغر من الذرة أو الأكبر منها يكون كلّه في كتاب مبين، وهو ما أكّده العلم الحديث من أنّ الذرة تتكوّن من الالكترونات والبروتونات والنيوترونات وتقسيمات أخرى أدق.

تعظيم الأجور ومضاعفتها. فجاء القانون الإلهي في التعامل مع الحسنات على ثلاث مراحل رتّبها القرآن بحسب فن الترقي من الميزان الدقيق إلى المضاعفة إلى التعظيم.

٢. **لفظ (فتيل)**: ورد لفظ (فتيل) في موضعين اثنين من سورة النساء؛ الأول في الآية ٤٩ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ والثاني في الآية ٧٧ في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿... قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ ؛ وسنقف على الموضع الأول شرحاً وتحليلاً .

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(٤٩)

ثم ذكر مفهوماً آخر من المفاهيم الفاسدة التي قالها قادة اليهود وعلماؤهم وبثّوها بين أتباعهم كمعتقدات مسلّم بها: (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) أو قالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه) ؛ فزكّوا أنفسهم عن عتاب الله لهم وحسابهم فردّ عليهم القرآن ذلك؛ فقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ) فابتدأ الآية باستفهام يحمل معان كثيرة منها تقرير الرؤية بأسلوب تعجبيّ تهكمي ينكر على من فعل هذا الفعل فعله، ويُنَفِّرُ من خُلُق المتكبرين؛ ثم قال: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ) وذلك بهدايتهم إلى الاستقامة والصلاح والعقيدة السليمة. وقوله: (وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) لبيان دقة الميزان الإلهي الذي يعطي كل ذي حق حقه فلا يظلم عنده أحد ولو كان بمقدار الفتيل؛ والفتيل: المفتول؛ وهو مثل الخيط الذي يكون في شقّ نواة التمر [١]؛ وذكر ابن الجوزي وأصل الفتيل المفتول ، صُرف عن مفعول إلى فعيل، وفيه قولان أحدهما: أنه ما يكون في شق النواة، أنه ما يخرج بين الأصابع إذا دُلكن[٢]، إذ تضرب به العرب المثل إذا أرادوا تحقير شيء أو التزهيد فيه، وذكر هنا كناية عن الشيء الحقير. ويكون التعبير استعارة علمية تصريحية؛ وقد ذُكر ذلك كتفسير علمي قدّمه الفيزيائي علي الكيالي مفاده: أن (الفتيل) بعض أجزاء الذرة وهذا معنى من المعاني العلمية تذكر للاستئناس دون القطع بها. وقد جاء ذكر الذرة وأجزاؤها في ثلاث آيات من سورة النساء؛ منها: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة)[النساء: ٤٠] وهو مطلق العدل الإلهي؛ ثم قال: (ولا يظلمون نقيرا) [النساء: ٤٩]؛ ثم قال: (ولا يظلمون فتيلاً)[النساء: ٧٧]. فبعد عام ٢٠٠٠ أثبت العالم الياباني يوكاوا أن الإلكترون أو البروتون داخل الذرة وهو أصغر من الذرة تقريباً بـ ١٠٠٠ مرة، وهذا

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٢٧٤/١ .

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٤١٨/١ .

الإلكترون أو البروتون في كل واحد منهما جسيم أصغر منه بمئة مرة يسمى (الكوارك)، هذا الكوارك يتحرك بحركة اهتزازية مستمرة كأنه (ينقر) نقراً كالكُرة الصغيرة داخل الجرس، وهذا ما يسمى بالنقير الذي ذكره القرآن بحسب قول الكيالي؛ ولعل ذلك أيضاً من قبيل الإعجاز في المصطلحات العلمية وهو من قبيل التوجيه العلمي. وثبت بحسب النظرية العلمية الحالية عام ٢٠٠٩ أن هذا الكوارك هو عبارة عن كرة فارغة وفيه حوالي ١٠٠٠ خيط من خيوط الطاقة، بينها فراغات، فإذا كان الفتيل هو أحد هذه الخيوط، معنى ذلك أن الله لا يظلم أصغر من الذرة بـ(مئة مليون مرة)، وهذا الكلام لا يمكن لبشر أن يتحدث عنه قبل أكثر من ١٤٠٠ عام، وهذا يفسر ذكر الفتيل (خيوط الطاقة) وتكرر ذكرها في سورة الإسراء ولم يتكرر مصطلح (النقير) أو (الذرة) لأنها أصغر مخلوق في (الذرة). وأرى والله أعلم أنّ هذا المعنى للفتيل مناسب جداً لمورده هنا ؛ إذ شبه عدله سبحانه أنه لا يظلم بمقدار خيط من خيوط الطاقة مكتنز في الالكترون؛ إذ تستمد الذرة منها وجودها وطاقتها كذرة كونية ؛ كذلك فإنّ الإنسان لا يُظلم في كل الطاقات التي يقدمها في هذه الحياة مهما كانت صغيرة أو كبيرة؛ فرب نظرة أو شطر كلمة أو إيحاء لا يصرف الانسان فيها طاقة تذكر فهي كطاقة الفتيل في صغرها لكن يكون نتاجها خير عميم أو شر مستطار؛ والمناسبة بين الطاقتين ؛ طاقة الانسان وطاقة الفتيل مناسبة علمية دقيقة.

ومعنى أنهم لا يظلمون شيئاً صغيراً ولو كفتيل مثقالاً أو مقداراً. لذا فقد حصلت مناسبة الحديث عن أمور النفس الخفية؛ فقال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ) وتزكية النفس تكون في الأمور الخفيّة ؛ غير الظاهرة؛ مما لا يعلمه الناس؛ فيلجأ هؤلاء إلى تزكية أنفسهم؛ فيرد الله عليهم: (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً)؛ إذ إنّ الطاقات المتحركة في النفس هي كطاقة الفتيل المكتنز في الإلكترون الذي هو جزء من الذرة. فالمناسبة هنا في أمور عديدة منها: الصغر، والخفاء، والطاقة. وأن كلا من النفس وفتيل الطاقة مما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

٣. لفظ (نقير):

ورد لفظ (نقير) في موضعين اثنين من سورة النساء؛ الأول في الآية ٥٣ في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ والثاني في الآية ١٢٤ في قوله تعالى: قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ؛ وسنقف على الموضع الأول شرحاً وتحليلاً .

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (٥٣)

افتتحت الآية باستفهام أفاد إنكاراً ونفياً وتعجيباً من حال هؤلاء؛ والمقصودون هم اليهود بقوله: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ)؛ إذ كانوا يدّعون أن النبوة محصورة فيهم، فلو كان لهم تصرف في أقدار الله وسننه لمنعوا الناس من الخير كله ولما أعطوا الناس مقدار النقير وهو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمرة. ولعل المراد من هذه الآية أن اليهود قد بلغوا من فظاعة البخل أنهم حاولوا حرمان الناس من الوقوف على حقائق الإيمان والاعتقاد القويم فصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والاستسلام لهديه. فكيف إذا كان لهم نصيب من ملك الكون فإنهم حتماً سيكونون أكثر بخلاً على الناس ولا يعطونهم شيئاً من الخير مهما كان صغيراً فقال: (فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا)؛ أي كالنقير في الصغر والحقارة؛ ذُكر سابقاً التفسير العلمي للنقير كونه جزء دقيق من الالكترون أو البروتون أصغر من الذرة بمئة ألف مرة. وبحسب هذا المعنى هو من قبيل الاستعارة العلمية. وهي استعارة تصريحية، حذف المشبه وصرح بالمشبه به وهو (النقير). والمعنى: أنهم ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم نصيب من الملك (فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا) من الخير. وفي العبارة تعريض بشدة بخلهم[1]. بل إن ما تفعله اليهود إن أصابوا نصيباً من الملك هو الإفساد في الأرض دون الإصلاح، قال تعالى: (ويسعون في الأرض فساداً).

ثالثاً: خصائص الخط المستقيم:

﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٦٧) ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٦٨)

ثم بيّن سبحانه وجوه ذلك التثبيت فقال: (وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا) في الدنيا والآخرة، فمن أجر الدنيا التوفيق الى صالح الأعمال، والرزق الحسن، وصلاح الذرية، وقوة البدن على نوائب الدهر، والنفس الطيبة، والزوجة الصالحة، وغيرها. وما أجدرها أن تكون من لوازم سعادة الدنيا. وأمّا أجر الآخرة فلعلّ بعض ما ذكره القرآن الكريم ممّا أعد الله لعباده الصالحين من الفوز بالجنان فقال: (جنات تجري من تحتها الأنهار). وقوله: (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)؛ والاستقامة الاعتدال في الطريق وهو ما يكون على خط مستقيم غير متعرّج، ولعل في الآية إشارة علمية هندسية تعكس خصائص الخط المستقيم، وهو بحسب التفسير العلمي أقصر خط بين نقطتين ، بمعنى أنّه أمثل طريقة للوصل بين نقطتين ، من هنا تُعلم أهمية هذا التشبيه القرآني لطريق الهداية من الدنيا إلى الآخرة بأنه يتصف بالأمثلية

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٢٧٦/١.

الواقعية، وهي الوسطية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية. فجعل دلالات الاستقامة هي طاعة الله ورسوله. ولذا شبهت به طريق الهداية والصلاح في تشبيه بليغ، وهو دليل التوفيق والنجاة في الدنيا للفوز بنعيم الآخرة، فبيّن هنا ان الاستقامة واحدة من نتاجات الالتزام بحكم الله وتطبيق شرعه، فينعكس ذلك إيجابياً على النفس الإنسانية؛ فيحرك فيها نشاط الهداية والاستقامة، ويعم الخير حياة الانسان كلها، ثم ما يمكن أن يحققه ذلك من أثر إيجابي في بناء أسرة الفرد ومن ثم في بناء المجتمع.

رابعاً: الدرجات بين الترقّي والتدلّي مفهوم هندسي:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥)

ثم أخبر تعالى عن مآل المنافقين وسجل مصيرهم فقال: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)؛ والدّرك: اسم جمع دركة، ضد الدرج اسم جمع درجة[١]، والدركة: المنزلة في الهبوط، وقوله: (فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وهي أدنى طبقات جهنم والعياذ بالله، فاستحقوا ذلك بما قدمت أيديهم وارتضته نفوسهم من مخادعة المؤمنين ومخادعة النبي ﷺ، فيكون بذلك جزاؤهم اشد واقسى من عذاب الكافرين. ثم تمم بقوله: (وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) وذيّل الآية بهذه الكناية على دوام العذاب في قعر جهنم فلا تجد لهم نصيراً ولا مُنقذاً.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١٤٦)

ثم استثنى سبحانه من تاب إلى الله من نفاقه وكفره، واخبر تعالى ان هذا العقاب الشديد لا يكون للذين تابوا واصلحوا وحسُن اسلامهم؛ فقال: (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ)؛ فعدد الخصال المنقذة من مصير المنافقين على سبيل الترقّي؛ إذ التوبة الصادقة عن أقوال وأفعال الكفر، يتبعها عمل صالح هو مصداق لها وعلامتها، وقوله: (وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ)؛ والاعتصام أغلب ما يكون في الجانب الفكري للفرد، فأصلحوا فكرهم واتّبعوا رسالته تعالى، والتزموا أوامره وتشريعاته، (وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ) فيتخلصون من مظاهر الشرك، ويتقوه وحده سبحانه[٢].

---

(١) فالشيء الذي يقصد أسفله تكون منازل التدلّي إليه دركات، والشيء الذي يقصد أعلاه تكون منازل الترقّي إليه درجات ، والحدّ بين الترقي والتدلّي سطح صفري؛ ويعد هذا المفهوم مهماً في التنظيمات الهندسية؛ والمسح الهندسي.

(٢) مع أنّ مراحل الترقّي الأربعة المذكورة في الآية الكريمة متداخلة، وهي بعضها سبب من بعض إلا أنّ المدقق فيها يمكن أن يقف على معالجة تخصصية محددة ؛ إذ جعل التوبة أول

ويمكن أن يكون في قوله: (وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ) تفصيل بعد أن أجمل بقوله: (واصلحوا) وهذه هي محاور العمل الصالح الذي يرتجى منهم ليتوب الله عليهم ويخرجهم من دائرة النفاق والكفر. فقال: (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) لانهم تخلفوا باخلاقهم وحرصوا على اعمالهم. فكان جزاؤهم أن يكونوا في معيتهم ثم بيّن جزاءهم فقال: (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)؛ (وسوف) أبلغ في التنفيس من السين[1]، وهو وعد من الله تعالى اكيد التحقق، وهو اجر لا يعلم له حدود او نهاية.

مرحلة ؛ وهي مقاطعة أقوال وأفعال الكفر والامتناع عنها بالتوبة، ثم الارتقاء في المرحلة الثانية إلى الإصلاح بتبنّي الأقوال والأفعال الصالحة، أمّا المرحلة الثالثة فهي الاعتصام بالله وهي أغلب ما تكون في معالجة الجانب الفكري لدى الفرد والتزام الفكر المستقيم الذي يؤدي في كل الأحوال إلى إرضاء الله وصلاح الأمة ؛ وهذا يؤدي إلى الإخلاص لله وحده سبحانه (وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ) فجعلهم الله تعالى في زمرة المؤمنين فقال: (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) وفي هذا التوصيف إعجاز نظمي عظيم في اختيار الألفاظ وما تؤديه من وظيفة، قال ابن عطية: (وكتاب الله تعالى لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد)؛ وحري بكلام ابن عطية أن يُدرس ، لما له من تركيز على إبراز المفردة القرآنية، فهو يصور لنا الجملة القرآنية هنا كالمعادلة الرياضية التي لاتقبل التغيير، وهي من مؤشرات النمذجة الرياضية في النص اللغوي.

(١) أتى بسوف لأن الأجر هو يوم القيامة ، وهو زمان مستقبل ليس قريباً.

الاستنتاجات والتوصيات

وفي ختام البحث فلابد من الوقوف على جملة من الاستنتاجات والتوصيات أهمها:

أولاً: الاستنتاجات:

١. الجمع بين وجوه الاعجاز القرآني تعد واحدة من المنهجيات والأساليب المهمة في دراسة الاعجاز القرآني ، وقد وقف البحث على الاشارات العلمية في سورة النساء من خلال البحث البلاغي للنص القرآني.
٢. أهمية الفنون والأساليب البلاغية في الكشف الحقائق العلمية في النص القرآني، إذ إن الأساليب والفنون البلاغية تكشف عن أعماق المعاني للنصوص القرآنية ميدان البحث، وبذلك تتضح أهمية الأسلوب البلاغي في شرح الاشارات العلمية في القرآن الكريم.
٣. وقف البحث على عدد من الاشارات العلمية في سورة النساء منها يتعلق بخلق الانسان والتقنات الحديثة في علم الاحياء كالاستنساخ الحيوي والوراثة والجلد والبصمة ، كما وقف البحث على إشارات هندسية منوّعة.

ثانياً: التوصيات:

يوصي البحث بتنشيط هذه المنهجية البحثية التي يشترك فيها بين وجهي الإعجاز العلمي والاعجاز البلاغي، والكشف عن أسرار ورود الإشارات العلمية المختلفة في القرآن الكريم بأساليب فنية منوعة فمرة تأتي استعارة ومرة مجازاً ، ومرة تشبيهاً وأخرى كناية وهكذا، فما السر الكامن وراء ذلك التنوع في هذه الاشارات العلمية الممتزجة بتلك الفنون البلاغية المختلفة.

ثبت المصادر

- أولى ما قيل في آيات التنزيل ، رشيد الخطيب الموصلي ، أروقة للدراسات والنشر ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، القاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان) ، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ت.
- الجديد من التفسير الطبي، الدكتور محمد جميل الحبال، الإصدار (٤) من إصدارات رابطة التدريسيين الجامعيين في نينوى، مطبعة ماشكي، الموصل (العراق)، ٢٠٢١ .
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١ ، بيروت (لبنان) ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط١٠، القاهرة (مصر) ، د. ت .
- الكشاف، محمد بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: أبي عبد الله ابن المُنيّر آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت (لبنان)، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- المنتقى من التفسير الطبي للآيات القرآنية، د.محمد جميل الحبال، دار الفكر المعاصر، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، دمشق (سوريا).

Rhetorical Miracles of Scientific References in Surat Al-Nisa

Eng. Maytham Mohammed Nuri
Technical Institute / Mosul

Assistant Professor
Dr. Ahmed Amer Al-Dulaimi
Mosul University / College of Education for Girls

Abstract

Our research entitled (Rhetorical Miracles of Scientific References in Surat An-Nisa ') is one of the important researches that adopted the methodology of interlocking between the two sides of the rhetorical miracle and the scientific miracle as they both serve the Qur'anic text and together reveal the scientific meanings inherent in it. The research showed the importance of rhetorical art in expressing the scientific issue, and the importance of arts and rhetorical methods in revealing the secrets of scientific facts contained in the Qur'an text.

The research was based on a number of scientific references in Surat al-Nisa ', including the creation of man and modern techniques in biology, such as biological cloning, genetics, skin and fingerprinting, as well as on various engineering signs. Then the research recommended revitalizing the research methodology between the two sides of scientific miracle and rhetorical miracle, and revealing the secrets of the various scientific references appearing in the Noble Qur'an by various artistic methods. They once come as a metaphor and once come as an analogy and so on. what is the secret behind this diversity in these scientific references mixed with these different rhetorical arts? .. And it is the question that researches seek to answer.

Keywords: (Rhetorical, Miracles, Scientific References , Surat Al-Nisa)